

الباب الثاني القصة و قصة عيسى بن مريم في القرآن الكريم

كما جرى في القرآن – الذى هو وحي و معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم – أن يكون فيه غرض خاص للإصلاح على حياة الناس من حيث الأمور الدنيوية والأمور الأخروية . بمعنى أنه هاد على حياتهم حتى سهل عليهم أن يفرقوا بين الحق والباطل . وللحصول على ذلك الغرض تكلم الله سبحانه وتعالى – في الآيات القرآنية – باستعمال عادة لغة أمته صلى الله عليه وسلم . ومن هذا أشار الله سبحانه وتعالى في بعض آياته : **إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**¹ . ومن حيث ذلك أيضا ينزل كلامه سبحانه وتعالى على الأسباب المختلفة باعتبار ثقافتهم كان أو حضارتهم . وبهذا يعرف اختلاف الآيات كسورة الأحكام والأمثال والقصص وغيرها تنزيلا منجما .

و للعرض في كتابة هذه الرسالة الجامعية سيبحث الباحث فيها بعض سورة الآيات الإلهية في القرآن المذكورة فيها القصة خاصة قصة عيسى بن مريم الموجودة في الأمكنة المتعددة منها . وينقسم هذا الباب إلى فصلين : الفصل الأول يبحث عن القصة في القرآن والفصل الثاني يبحث عن قصة عيسى بن مريم في القرآن الكريم .

¹ القرآن الكريم ، سورة الزخرف : 3

الفصل الأول القصة في القرآن الكريم

إن الكلام عن القصة يستطيع أن تنظر من حيث ما للفنون العلمية، إذ أنها وسيلة ليسهل فهم الغرض العلمي الخاص الذي يحصل على نحو اختلاف درجات قوة عقل الإنسان . فلذا القصة عامة تجري على نحو العلم الفلسفي كقصة حي بن يقظان ، والعلم الأدبي كقصة ليلة ومجنون وغيرهما . ومن غرض هذا السهل على الأمة العربية في فهم القرآن وأخذ معانيها ، توجد أيضا في القرآن الآيات على نحو سورة القصص .

ومن حيث الاعتبار اللغوي إن القصة من كلمة القص بمعنى : تتبع الأثر ، وعلى مثل هذا يكون القول " قصصت أثره " أى تتبعه . وأما القصص فهو مصدر ،² كما يراد في قوله تعالى : فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا .³

والقصص هنا بمعنى الرجوع يقصان الأثر الذي جاء به . وكذلك يوجد القصص في قوله تعالى : وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ .⁴ ويعرف القصص أيضا في قوله تعالى الأخرى : إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ .⁵

ومن الناحية اللغوية أيضا يعرف البيان أن القصة هي الخبر وهو القصص ، وقص على خبره يقص قصا قصصا أي أرده . والقصص أي الخبر المقصوص بالفتح وضع موضع المصدر حتى

² مناع القطان ، مباحث في علوم القرآن (رياض : منشورات العصر الحديث ، 1990) ، ص : 305

³ القرآن الكريم ، سورة الكهف : 64

⁴ القرآن الكريم ، سورة القصص : 11

⁵ القرآن الكريم ، سورة آل عمران : 62

صار أغلب عليه والقصص بكسر القاف هو جمع من القصة التي تكتب⁶.

وبعد أن عرفت القصة من حيث البحث اللغوي فيحصل أنها تجري على سائر الفنون المتعددة ، مع أن لكل منها أمورا خاصة التي لم توجد في غيره . فالقصة القرآنية ذات الخصائص مثل وجودها معبر على قصد الاعتبار في الآيات القرآنية التي يكون فيها القصة .

ويكون البحث اللغوي – كما ذكر في البيان الماضي – من حيث أنها تصور تصويرا جيدا على ما سبق من الوقائع والحوادث الماضية . ومن هذا فمعنى القصة من حيث اللغة لا فرق بينها في النصوص الأدبية وبينها في الآيات القرآنيات . هكذا البحث في القصة من حيث اللغة ولم يوجد فيها الفرق الأساسي بين البيانات السابقات .

لحظت القصة من حيث اصطلاح علوم القرآن فقد قال مناع القطان إنها أخبار تصور عن أحوال الأمم الماضية والنبوة السابقة والحوادث الواقعة⁷ . ومن هذا ، فالقرآن مخبر عما مضى وسبق من الأحوال والوقائع الخاصة للأمم الماضية من بلادهم وثقافتهم وحضاراتهم وغيرها للحصول الى الفائدة المخصوصة من الأمور الدينية والمخبرة عن الأمور الأخروية .

وقد اشتمل القرآن على كثير من الوقائع والحوادث الماضية وتاريخ الأمم وذكر البلاد والديار ، وتتبع أثر كل قوم . وهذا يدل على أن القرآن ليس مشتملا على أحكام الناس فحسب – كحكم أخذ مال الغير . بالباطل وحكم شرب الخمر والزنا وغيرها - ، ولا

⁶ محمد عرفة المغربي ، *القصة في الأدب العربي* (الجامعة الأزهار : مطبعة الحسين الإسلامية ، 1411 هـ - 1991 م) ، ص: 115

⁷ مناع القطان ، *مباحث* ، ص: 306

يكون أيضا في القرآن دالا على الأمور الأخروية فقط . فإذا كان الناس كلهم يستطيعون الاستفادة من حيث ما شاء على قدرهم في الفنون العلمية من الفلسفة والأدب والفقه والكلام وغيرها ، ووجدوا بعد فهمه على حسب طريقتهم العلم الجديد .

فالقصة القرآنية لها الخصائص التي تفرق بين القصة مع غيرها ، ومع ذلك كانت هذه القصة لها الفوائد من حيث نظرة الإتجاهات الدينية ، ولو كان من الناحية الأدبية فائدة خاصة كأساليبها وغيرها . ومن الفوائد للقصة القرآنية نقلا على تلخيص مناع القطان صاحب الكتاب "مباحث في علوم القرآن" كما يعرف فيما يلي :

1. إيضاح أسس الدعوة إلى الله
وبهذه الفائدة ، يعرف أن في القصة إيضاح على أسس الدعوة إلى الله حتى كان الناس يفهمها يتيقنون على أن الله تعالى هو المعبود ولا بد لهم أن يعبدوه عبادة خالصة عليهم حسب الأوقات المعينة .
2. تثبيت قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلوب الأمم
المحمدية على دين الله .
وبهذه الفائدة ، يحصل الفهم على أن القصة تثبت قلب محمد صلى الله عليه وسلم حين أنه ينال الآيات القرآنية على صورة القصة . وأن القصة أيضا مثبتة على أممه صلى الله عليه وسلم حيث أنهم يقبلون قبولا هنيا لا كره فيه بأخذ النفع في القصة القرآنية من الموعظات والعبارات الحسنى .
3. تصديق الأنبياء السابقين وإحياء ذكركم وتخليد آثارهم .
وبهذه الفائدة ، كانت القصة هي مصدقة لمخبر عليهم بمعنى أنهم لا يكونون في الكذب من حوادثهم . وكذلك كانت

القصة مخلدة لآثارهم حتى استفاد الناس جميعهم بما وقع في
القصة من الأمثال الحسنى .

4. إظهار صدق محمد صلى الله عليه وسلم في دعوته بما أخبر
به عن أحوال الماضين عبر القرون والأجيال .

وبهذه الفائدة ، تعرف أن للقصة إظهارا على صدق
المبعوث صلى الله عليه وسلم . إذ أن القصة حين ذلك موافقة
بما أخبره من الوقائع التي جرت عليه صلى الله عليه وسلم
من الحسن والقبیح في طريقة حياته .

5. وقارنته أهل الكتاب الحجج .

وبهذه الفائدة ، يكون في القصة واسلة للحجج على
صدق محمد صلى الله عليه وسلم حين أنه يبلغ رسالاته على
الأمم وللحجج أيضا على كذب أهل الكتاب حين أنهم كتموا
بعضاً من الآيات البينات والهدى من وجود التحريف والتبديل

.

6. والقصص ضرب من ضروب الأدب ، يصغى إليه السمع ،
وترسخ عبره في النفس (لقد كان في قصصهم عبرة لأولى
الألباب . يوسف : 111)⁸

⁸ مناع القطان ، مباحث في علوم القرآن ، 307

الفصل الثاني قصة عيسى بن مريم في القرآن الكريم

قد بحث الباحث في الآيات الذاكرة عن عيسى بن مريم عليه السلام من أحواله المتعلقة بمولده ونبوته . أن في الآيات اختلافات بمعنى أن بعضها يزيد في البيان على بعض حتى كأن بعض الآيات تتكامل ببعض آخر .

ومن الآيات القرآنية التي ذكرت فيها قصة عيسى بن مريم فما حصل ذكر بعضها فيما يلي :

1. قوله تعالى في سورة مريم ، 30-33 : " قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبْرًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (٣٣) . "
2. قوله تعالى في سورة آل عمران ، 45: " إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَحِيهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ . "
3. قوله تعالى في سورة آل عمران ، 47: " قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يُخَلِّقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ . "
4. إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٥٩)
5. وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (٥٠)

وبعد أن ذكر الباحث الآيات السابقة فقد وصل عليها البيان
عن ترجمة عيسى بن مريم ، وهو كما الآتي :

فبدأ الباحث بذكر ميلاد عيسى بن مريم . قال الله تعالى :
(وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا . فَاتَّخَذَتْ
مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا . قَالَتْ
إِنِّي أَعُودُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا . قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ
لَأَهَبَ لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا . قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ
وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا . قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ
وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا . فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا .
فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ
نَسِيًّا مَنْسِيًّا . فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا .
وَهَزِي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا . فَكَلِمَاتٍ وَأَشْرِي
وَقَرِي عَيْنًا فَاِمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ
صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنْسِيًّا . فَأَنْتَ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ
جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا . يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ
أُمُّكَ بَغِيًّا . فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا .
قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا . وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا
كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا . وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ
يَجْعَلَنِي جَبَّارًا شَقِيًّا . وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ
أُبْعَثُ حَيًّا . ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ . مَا
كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ
فَيَكُونُ . وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ . فَاخْتَلَفَ
الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ).

ثم ذكر الباحث عن حقيقة عيسى عليه فذكر تعالى قصته على
الجلية وبين أمره ووضحه وشرحه قال : (ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ

قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ . مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ . كما قال تعالى بعد ذكر قصته وما كان من أمره في آل عمران: (ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ . إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ . الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ . فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ . إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ) .

ولهذا لما قدم وفد نجران وكانوا ستين ركباً يرجع أمرهم إلى أربعة عشر منهم ، ويؤول أمر الجميع إلى ثلاثة هم أشرفهم وساداتهم وهم العاقب والسيد وأبو حارثة بن علقمة ، فجعلوا يناظرون في أمر المسيح فأنزل الله صدر سورة آل عمران في ذلك وبين أمر المسيح وابتداء خلقه وخلق أمه من قبله ، وأمر رسوله بأن يباهلهم إن لم يستجيبوا له ويتبعوه ، فلما رأوا عينيها وأذنيها نكسوا وامتنعوا عن المباهلة وعدلوا إلى المسالمة والموادعة وقال قائلهم وهو العاقب عبد المسيح : يا معشر النصارى لقد علمتم أن محمداً لنبي مرسل ، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ، ولقد علمتم أنه ما لآعن قوم نبياً قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم وإنها للاستئصال منكم إن فعلتم ، فإن كنتم قد أبيتم إلا ألف دينكو والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم ، فطلبوا ذلك من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسألوه أن يضرب عليهم جزية وأن يبعث معهم رجلاً أميناً ، فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح وقد بينا ذلك في تفسير آل عمران وقد بسطنا هذه القصة في السيرة النبوية.

والمقصود أن الله تعالى بين أمر المسيح فقال لرسوله : (ذَلِكَ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ) يعنى من أنه عبد مخلوق من امرأة من عباد الله ، ولهذا قال : (مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وُلْدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) . أى لا يعجزه شئ ولا يكرثه ولا يؤوده بل هو القدير الفعال لما يشاء ، (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) وقوله : (إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ) هو من تمام كلام عيسى لهم في المهد ، أخبرهم أن الله ربه وربهم وإلههم وإلههم ، و أن هذا هو صراط المستقيم .

قال الله تعالى : (فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ) أى اختلف أهل ذلك الزمان ومن بعدهم فيه .

فمن قائل من اليهود : إنه ولد زنية ، واستمروا على كفرهم وعنادهم .

وقابلهم آخرون في الكفر فقالوا : هو الله وقال آخرون : هو ابن الله .

وقال المؤمنون : هو عبد الله ورسوله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وهؤلاء هم الناجون والمثابون والمؤيدون المنصورون ومن خالفهم في شئ من هذه القيود فهم الكافرون الضالون الجاهلون ، وقد توعدهم العلي العظيم الحكيم العليم بقوله : (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ)

قال البخارى : حدثنا صدقة بن الفضل ، أنبأنا الوليد ، حدثنا الأوزاعي /حدثني عمير بن هانىء ، حدثني جنادة بن أبي أمية ، عن عبادة بن الصامت ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن

عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة
حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل".
قال الوليد : فحدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن
عمير ، عن جنادة : وزاد : من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء .
وقد رواه مسلم عن داود بن رشيد ، عن الوليد ، عن جابر به
ومن طريق أخرى عن الأوزاعي به . هكذا خلاصة الترجمة لعيسى
بن مريم حيث مولده ونبوته .